نحو تأصيل إسلامي للتاريخ
سلسلة التاريخ الإسلامي
للبراعم المسلمة [٢]

تاريخ الأمة الواحدة

البداية الحقيقية

آدم وزوجه وبنوه يكونون أول مجتمع مسلم

إعداد

الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة

الد... محمد مسعود





تاريخ الأمة الواحدة

البداية الحقيقية

آدم وزوجه وبنوه يكونون أول مجتمع مسلم.

الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ
سلسلة التاريخ الإسلامي
للبراعم المسلمة
[٢]

تاريخ الأمة الواحدة

البداية الحقيقية

آدم وزوجه وبنوه يكونون أول مجتمع مسلم

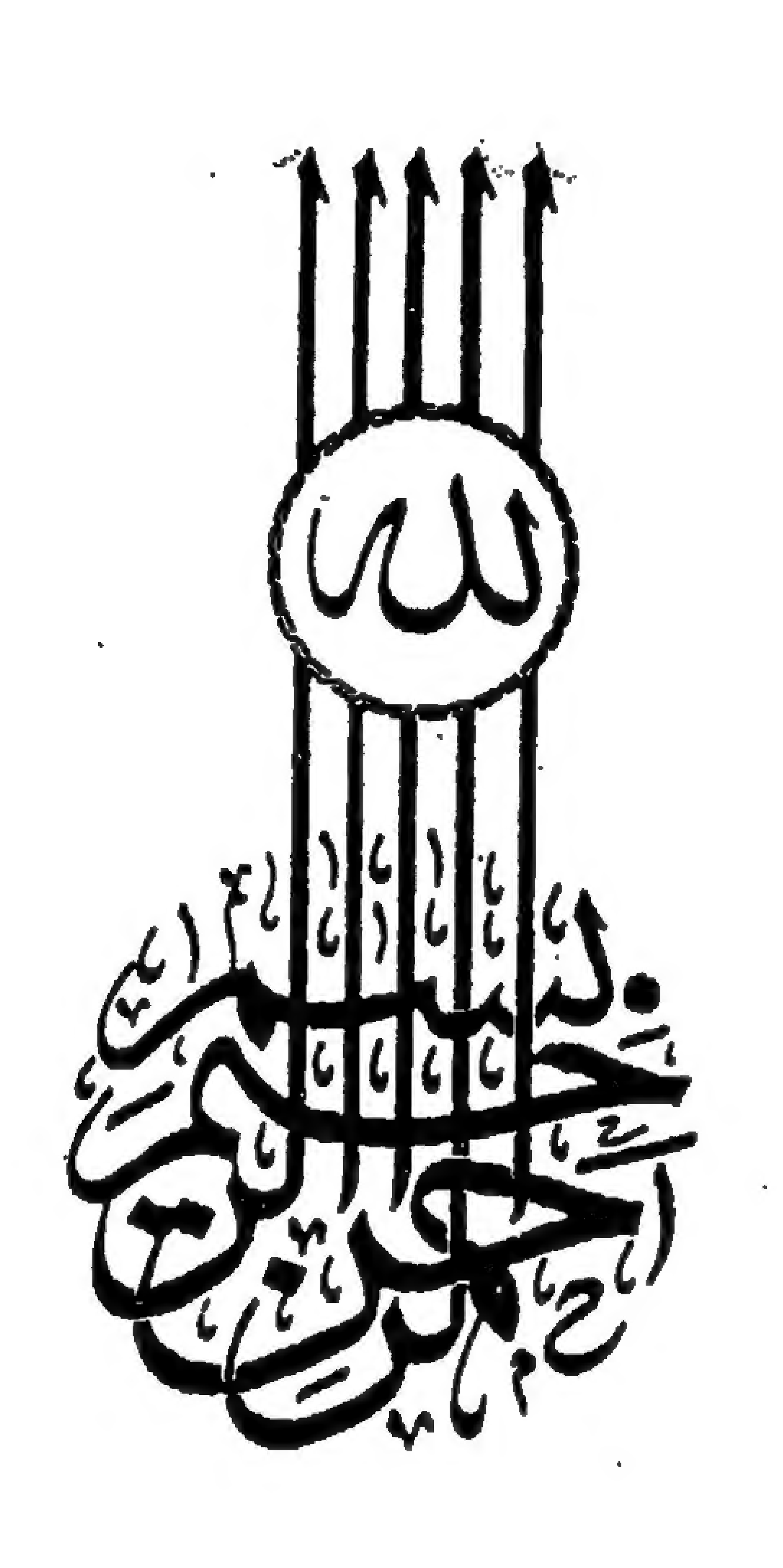
﴿إنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

إعداد

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود
أستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقا)

الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة
أستاذة المساعدة بقسم التاريخ الإسلامي
بطالبات كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقا)

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ش . م . م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

تاريخ الأمة المسلمة تاريخٌ عَرِيق ، يَضْرِبُ بِجُذُوره في أعْمَاق الزمن ، فهو يَرتَبِط بالكَوْن المُسلْمِ الذى خَلَقَهُ اللهَ مُخْتَاراً طائعاً لله ربِّ العالمين ، ويرتَبِط بآدم وزَوْجِهِ وبَنيهِ ، الذين كوَّنوا أوَّل مُجتمع مسلم على سَطْح الأرض .

والأمة المسْلمةُ (الأمة الواحدة) هى الأمة الشَّاهِدَةُ : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾[1] .

ومَنْ عَرفَ تَاريخهُ عرف أن الله ربَّ العالمين هُوالَّذى خَلَقَ هذا الكوْن وما فِيه ، ومَنْ فيه ، وأنَّ كُلَّ شىْءٍ فيه يَعْرفُ ربَّه وخالِقَهُ .

وعَرَفَ أنَّهُ يَنْتَسِبُ إلى آدَمَ عليه السلام ، وأنَّ الله قدِ ارتَضَى لَهُم الإسْلام ديناً ، ..

وعرف أن عَدُوَّهُ الشيطانُ ، شَيطَانُ الإنْسِ وشَيْطَانُ الجِنِّ ، الذى يَحْرِصُ على اجْتِيَالِ بَنى آدَمَ عن دِينهم ..

وعرف أن الله قد أرْسَلَ الرُّسُلَ لاسْتِنْقَاذِ بنى آدم من بَراثِنِ الشَّيطان ، وأن أوَّل الرُّسُل إلى أهل الأرض هو نُوحٌ عليه السلام ، وآخِرَهُم محمدٌ ﷺ ..

وعرف أنَّهمُ ـ أى جميع الرسل ـ دَعَوْا إلى الإسلام ، وإنْ كَانَ لِكُلِّ أُمَّةٍ شِرْعَةٌ ومنهاجٌ ..

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

وعرف أنَّ الزَّمَن في حسِّ المؤمن مُمْتَدٌّ ، فهو الدنيا والآخرة ، وليْسَتِ الدُّنْيَا فَحَسْب ، وأن الموت مَرْحَلَةٌ فى الطريق ..

وعرف أن البَعْثَ حَقٌّ ، وأن النَّار حَقٌّ ، وأن الجنَّةَ حَقٌّ .

ومن عرف تاريخه عَرَف أن الله ربَّ العالمين خلقه ، وأنَّهُ قَدْ خَلَقَهُ لِغايَة ، وهى عِبَادَةُ الله وَحْدَهُ : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[1] .

وأن مُقْتَضَيَاتِ العُبُودِيَّة لِلَّه ربِّ العالمين ، الانقياد الثابت لِمَنْهَجِه سُبْحَانَه وَتَعالى ، وصراطه المستقيم ، وأنَّ مُقْتَضَيات العُبودية لِلَّه ربِّ العالمين ، حَمْلُ الأَمَانَةِ التى أَبَتِ السماوات والأرض والجبال حَمْلَهَا ، وأشْفَقْنَ مِنْهَا ،

ومِنْ مُقتَضَيَاتها العملُ المُستَمِرُّ فى إخراج بنى آدم مِنْ عِبَادَةِ العباد ، إلى عِبادَةِ الله الواحدِ القَهَّارِ ، ومِنْ ضيقِ الدُّنْيَا إلى سَعَةِ الآخِرة ، ومن جَوْرِ الأديان إلى عَدَالَة الإسلام .

ومِنْ مُقْتَضَيَاتِ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ ، إعطَاءُ الوَلاء لِلَّه ولِرسولِهِ وَلِلْمُؤمنين : ﴿ **إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا** ﴾[2] .

ومِنْ مُقْتَضَياتِ لا إلَهَ إلا اللَّهُ ، رَفْضُ الأَفْكَارِ والمَبَادِئُ الَّتِى لاَ تَنبْثِقُ عَنْ شَرِيعة اللَّهِ ..

ومَنْ أدْرَكَ تارِيخ الأمَّة المسلمة أدْرَكَ أن هذه هي مُهِمَّةُ الرُّسُلِ فى الأرض ، وهذه هي غَايَتُهُ فى الحياة ، فَحينَ يُعطى المُسْلِمُ وَلاءه لِلَّه ولِرَسُولِهِ ولِلْمُؤمنين ، يكُون عَبْداً لِلَّه ، وحِينَ يَحْمِلُ الأمانةَ بِنَفْس مُؤْمِنَة ، وعَزِيمَة صَادِقة ، يكُون عبداً للَّه ...

وحين لا يَقْبَلُ هَدْياً إلاَّ هَدْيَهُ ، ولا تَشْرِيعاً إلاَّ تَشْرِيعَ دِينه ، يكُون عبداً لله ...

وحين يَسْتَمِرُّ فى حَرَكَةٍ دَائِمةٍ ، وجِهَادٍ دائب لِيُخْرِجَ النَّاسَ من عبادَة العباد

---

(١) الذاريات : ٥٦ . (٢) المائدة : ٥٥ .

إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، يكون عبداً لله ، وإلاّ فإنه يكون هملاً من سقط المتاع ، عبداً للهوى ، وعبداً للطاغوت ، وعبداً لليأس والقنوط ... يسير بلا غاية ، ويتخبط بلا هدى ، ويتعثر بلا دليل : ﴿ **أوَ مَنْ كانَ مَيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وجعلنا لهُ نورًا يمشي بهِ في النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بخارجٍ منها كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون** ﴾[1] .

إذن فليعلم المسلمون حقيقة تاريخهم ، وطبيعة دينهم ، وليتحرروا من حب الدنيا ، وكراهية الموت ، وليعرفوا الغاية التي من أجلها خلقوا ، وعلى أساسها وجدوا ، حتى ينهضوا بالإسلام من جديد ، ويستعيدوا مجدهم الدائر ، وعزيمتهم المنيعة ، وقوتهم الهائلة ، ووحدتهم الشاملة ، وما ذلك على الله بعزيز[2] .

---

(١) الأنعام : ١٢٢ .

(٢) تربية الأولاد في الإسلام : عبد الله ناصح علوان ، دار السلام للطباعة والنشر صفحة ١٣ ، ١٤ .

الدرس الأول

تاريخ الأمة الواحدة (المسلمة)

سيرةُ آدمَ عليه السلام

الأب : يقول الله تعالى : ﴿ **إنَّ هذهِ أُمتُكُمْ أُمةً وَاحِدَةً وأنارَبُّكُمْ فَاعْبُدُون** ﴾[1].

ويقول: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحدةً فَبعثَ اللَّهُ النَّبيينَ مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزلَ مَعَهُمْ الكِتابَ بِالحقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** ﴾[2] .

أبنائى .. بَنَاتى . . حديثُنا اليوم يَنْصبُّ على سيرة آدم عليه السلام ، أبى البشر .

الأبناء : سؤالٌ يا أبى : نُريدُ أن نَعرفَ أولاً إلى مَنْ ننتسِبُ ؟ ولمـاذا خُلِقْنا ؟ بعد أن عرفْنا من الذى خَلَقَ الكَوْنَ حولَنَا ، وما هى العلاقة التى ترْبِطُنا بهذا الكوْنِ الذى نَعيشُ فيه ؟!

الأب : صبراً صبراً يا أبنائى ، ستَعْرِفُون كُلَّ شىءٍ فى حينه إن شاء الله .. نَحنُ جميعاً من سُلالَةِ آدمَ عليه السلام ، والذى خَلَقَ آدمَ هو اللّهُ ربُّ العالمين ، يقولُ الله عز وجلَّ : ﴿ **وإذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائكةِ إِنى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ . فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين** ﴾[3] .

أسامة : آدمُ عليه السلامُ مَخْلُوقٌ من طين !؟

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .
(٢) البقرة : ٢١٣ .
(٣) ص : ٧١ ، ٧٢ .

محمود : والله ربُّ العالمين هو الذى خلقه ؟؟

الأب : نعم ياأبنائى ، ولهذا الخلق قصة : لقد جمع الله الملائكة فى زمن لا يعلمه إلا الله ، وأعلمهم أنه قد قدّر خلق آدم عليه السلام ، واستخلافه في الأرض ،يقول الله عز وجل :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

فسأل الملائكةُ سؤال استعلام :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[1] .

محمود : يَستعلمونَ من الله عزّ وجلّ ! وهل أجابهم ربُّ العالمين ؟

الأب : نعم ياأبنائى ، وقال لهم إنى أعلَمُ مالا تعلمون .

أسامة : سامحنى يا أبى ، قبل إكمال قصة خلقِ آدمَ عليه السلام نريدُ أن نعرفَ شيئاً عن الملائكة ياأبى ؟

الأب : إنّ لله ملائكة موجودين ، مخلوقين من نورٍ[2] ، وإنهم لا يعصُون الله ما أمرهُم ، وإنهم قائمون بوظائفهم التى أمرهم الله بالقيام بها ، وهم قد خُلقوا قبل آدم عليه السلامِ ، وهم ليسوا كالبشرِ فلا يأكلون ، ولا يَشربون ، ولا ينامون ، ومنزهون عن الآثام والخطايا .

محمود : سَمِعْتُ ياأبى أن الملائكة لها قُدرةٌ على التشكُّلِ ؟

الأب : نعم ، فقد ظَهرَ المَلَكُ لمرْيمَ على صُورة البشر ، يقول الله تعالى : ﴿ فأَرْسَلْنا إليها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لها بَشَراً سَوِيّاً ﴾[3] .

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) حديث رسول الله : « خُلقت الملائكة من نُور ، وخُلق الجانّ من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » رواه مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ .

(٣) مريم : ١٧ .

وظَهَر لرسولِ الله مُحمَّدٍ صلى الله علي وسلم على هيئة رجلٍ شديد بياض الثياب شديدِ سَوادِ الشَّعرِ .

إيمان : وهل لهم أجْنحةٌ يطِيرُون بها ؟

الأب : نعم ، لهم أجْنحَةٌ ، يقول الله تعالى : ﴿ **الْحمدُ للَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الملائِكَةِ رُسُلاً أولي أجْنحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** ﴾[1] .

كما أن رسول الله محمداً رأي جِبْريلَ عليه السلام له سِتمائة جناحٍ[2] .

أسامة : لماذا خَلَقَ الله الملائكة ياأبي ؟

الأب : هم عِبادٌ مُكْرَمُون ، وعلاقتُهم بالله علاقةُ عُبُوديةٍ خالصةٍ ، وطاعةٍ ، وامْتِثالٍ ، وخضوعٍ مُطْلَقٍ لأوامره عزّ وجلَّ ، وعِبادتُهم للهِ لا تقتصرُ علي التسبيح وحمدِ الله ، وتَمْجيدِهِ ، وإنما تَشْتَمِلُ على تنفيذ إرادته جلّ وعلاَ و بتدبير أمر الكون ، ورعايته لكُلِّ مافيه من مخلوقات ، ومافيه من حركة ونشاط ، ومافيه من حياة ، وتنفيذ إرادته سُبْحانَهُ في مراقبةِ وتسجيلِ كلِّ ما يَحْدُثُ في الكَوْنِ من حَرَكاتٍ ، فهم المُوكَّلُونَ بالسماوات والأرض ، وكلُّ حَرَكةٍ في العالم تدخُلُ في اختصاصهم كما أراد خالقهم تباركَ وتَعالى ، قال تعالى : ﴿ **فَالمدَبِّرَاتِ أمرًا** ﴾[3] وكما قال : ﴿ **فَالمُقَسِّمَاتِ أمْرًا** ﴾[4] .

إيمان : معنى ذلك أن الملائكةَ مُوكَّلَةٌ بالشمسِ والقمرِ ، وبالجبال ، وبالسَّحَابِ ، وبالمطرِ ؟

الأب : نعم ، وهُناكَ ملائكةٌ مُوكلةٌ بالموتِ ، ومَلائِكَةٌ موكَّلةٌ بالعبد يحفظونه : ﴿ **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظ** ﴾[5] .

---

(١) فاطر : ١ .

(٢) الإيمان : محمد نعيم ياسين ، ص ٥٠ ، ٥١ ، شرحا على صحيح البخارى مع فتح البارى جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٣) النازعات : ٥ . (٤) الذاريات : ٤٠ . (٥) الطارق : ٤ .

وتُدوِّن كُلَّ أعمال العبد : ﴿ مَايَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١] .

الأبناء : نعلم أن الله على كل شيء قدير ، اللهم استر عيوبنا ، واعف عن زلأتنا ، فلا يُسجلون عنا إلا كُلَّ خير .

الأب : وفوق هذا فإنّ للملائكة أعمالاً أُخرى في حياة الإنسان الإرادية ، هدفها ـــ كما حدّد اللهُ لهم ـــ هداية البشر وإسعادهم ومساعدتهم على عبادة الله ، وعونهم على اختيار الهدى والصلاح ، واجتناب الشرّ والفساد والضلال ، ومنهم الذين اختارهم اللهُ ربُّ العالمين لإيصال هُداه إلى أهل الأرض عن طريق رُسُله والمَلَكُ المختار لهذه المُهمّة هو جبريل عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾[٢] .

الأبناء : جزاكَ الله عنّا خيراً ياأبي ، ونسألُ اللهَ أن يُوفّقنا للاستجابة لهؤلاء الملائكة ، فلا نفعلَ الشرَّ .

الأب : نرجعُ مرّةً أخرى إلى قصّةِ خلقِ أبينا آدم عليه السلام . وخلق الله آدم من طين ، كما ورد في حديثِ رسول الله محمد ﷺ : « إن الله خلق آدمَ من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدرِ الأرض ، جاء منهم الأحمر ، والأسود ، والأبيض ، والحزن ، والخبيث»[٣] .

يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾[٤] .

ويقول : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[٥] .

أحمد : صدقَ اللهُ القائلُ : ﴿ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

---

(١) ق : ١٨ .
(٢) الشعراء : ١٩٢ ــ ١٩٤ .
(٣) رواه الترمذي وأحمد .
(٤) الرحمن : ١٤ .
(٥) الحجر : ٢٦ .

لاَزِبْ ﴾[1] .

أسامة : ولكن هل آدمُ كان على هَيْئتنا ؟

محمود : وما طُولُه ، وماعَرْضُه ؟؟

الأب : روى البخارى بِسَنَدِه عن رَسُولِ الله محمد ﷺ : « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وطُولُه ستُّون ذِراعًا ، ثمَّ قال : اذهب فَسَلِّم على أُولئكَ الملائكة ، واسمع ما يُجيبونك ، فإنها تَحيَّتُكَ وتحية ذُرِّيتكَ ، فقال : السلامُ عَلَيْكُم فقالوا : السلام عليك ورحمةُ الله ، فزادوه ورحْمَةُ اللَّه ، فكُل من يَدخُلُ الجنة علَى صُورَةِ آدَمَ فلمْ يزل الخَلْقُ ينقُصُ حتى الآن »[2] أو كما قال ﷺ .

إيمان : لاَ إله إلا اللَّه .. إِذَنْ جَدُّنا آدم كَانَ عِملاقاً ؟

الأب : نعم ، ستُّون ذِرَاعًا في الطُّولِ ، وسبْعةُ أذْرُع في العَرْضِ ، واللَّهُ خَلَقَنا على هيْئتهِ وندخل الجنة على هيئته إن شاءْ الله ، وإن كُناَّ أصْغَرَ حَجْماً ، وأقْصَرَ أعْمَاراً كما بَيَّن رسول الله ﷺ .

أحمد : وذلكَ يَعْنِى أن كُل شىء إلى زَوَالٍ وإلى نِهَاية ولاَ يَبْقَى إلا اللَّه ..

الأب : نعم ياأحمد ، فالله يقول : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** ﴾[3] .

محمود : إذن تَحيَّتُنا هى تَحيةَ أبينا آدم عليه السلام وهى تَحِيَّةُ الإسلام ؟؟

الأب : نعم ياأبنائى .

إيمان : ولكن ماهُو الدِّين الذى ارتَضَاه اللَّه لأبينا آدم ؟

الأب : إنهُ الإسلامُ ، إن رسُولَ اللَّه ﷺ قَدْ أخبرَ : « خيرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عليه

---

(١) الصافات : ١١ .

(٢) البخارى ، فتح البارى جـ ٦ ص ٣٦٢ .

(٣) الرحمن : ٢٧ ، ٢٨ .

الشمسُ يوم الجمعة ، فيه خُلق آدمُ ، وفيه أُدْخِل الجنة ، وفيه أُخْرِجَ منها ، وفيه تَقُومُ السّاعَةُ »[1] .

الأبناء : سُبْحان الله العَظِيم !!

أحمد : مَعْنَى ذلك أنَ آدمَ كانَ يعيشُ فى الجنة ثم أُخْرِجَ منها ؟؟

الأب : نعم ياأبنائى .

أسامة : لماذا أخْرِجَ مِنهْا ، وكم سنة عَاش فيها ؟

محمود : ومتى تُوُفّى يا أبى ؟؟

إيمان : وأيْن هُوَ الآنَ ؟؟

الأب إنَّ اللهَ مع الصابرين .. سَتَعْرِفُون الإجابة فى حينها .

أحمد : ولكن لماذا خَلَقَ اللهُ آدمَ يا أبى ؟؟

الأب : اصبر يا أحمد .

أسامة : ماذا بَعدَ أنْ خلَقَ اللهَ آدم ؟؟

الأب : عَلّمَهُ اللهُ الأسْماءَ كُلَّها . يقول الله تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾[2] ويقول سُبْحانَه وتعالى : ﴿ **عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ** ﴾[3] .
والأسماءُ التى علّمَها اللّهُ لآدَمَ هى التى يتعارفُ عليها النّاس فى ذلكَ الزّمانِ ، مثل : سَمَاءٌ ، أرْضٌ ، شجرٌ ، بَحْرٌ ، جبَلٌ ، إلى غير ذلك .

أحمد : معنى ذلك : أن آدَمَ عليه السلام كانَ يتحدّثُ مع غَيْرِه بلُغةٍ يَتَفَاهَمُونَ بهاَ ؟

الأب : نعم .

أسامة : فكيف يَزْعُم كتّابُ مايسمَّى بالتاريخ القديم : أن الإنْسَان الأوَّلَ لَمْ

---

(١) رواه مسلم . (٢) البقرة : ٣١ . (٣) العلق : ٥ .

يكـــنْ يعـرفُ كيفَ يتكلَّمُ ، وظَلَّ يتعلم الكـــلامَ تدريجـيـا من الحيوان ؟؟ !

الأب : مُلاَحظةٌ تدلُّ على ذكاءٍ يا أسامةُ ، مـاشاء اللَّهُ ، بارك الله فيك .. نعم ، لقـد مُلِئت كُتُبُ التاريخ القديم بمعلـومَات كاذبـةٍ عن هذا الإنـسان الأول ، عن آدمَ عـليه السلام ، ومن هـذه المعْلُومات الكاذبة ، أنـه لم يكن مُتَديِّنـاً ، وأنهُ لم يكُنْ يَعْرِفُ له ربّا .

ولكـن : كيف يَسْمَحُ أسـاتِذةُ الجامـعة مِنْ أبنـاءِ العربِ والمسلمين أن يُرَدِّدُوا ما يقولُهُ المُلْحِدُونَ ؟؟

أليْسَ هُناكَ مَصْدَرٌ يعتمدون عَلَيْه ، يُبيِّنُ لهم الحقيقة ؟!

الأب : بَلَى يا أحمد .. هـذا كتابُ الله بيْنَ أيدينا يكشِفُ كَذِبَهم ، ويُثْبِتُ أن آدم عليه السَّلاَمُ كَانَ يَعْرِفُ مُسمَّيَاتِ كُلِّ الأشياءِ التى حَوْلَهُ وأنه كَانَ يعرفُ ربَّهُ ، ويعْرِفُ دِينَهُ ، دين الإسلام .. ويَعْرِفُ الغايةَ التى مِنْ أجْلِها خَلَقَهُ اللّه تعالى ، ويعْملُ لـها .. وأنَّه علَّمَ ذلك لأبْنَائه ونَقَلَ الأبناءُ ذلك لأبنـائهم حتى وصَلَت إلينـا على الـنحو الـذى تَعْرِفُونَ ، أى أن الذى سمَّى السَّمَاءَ باسْمِـها ، والأرضَ باسمها ، وكُلَّ شيءٍ باسـمه ، هو اللّهُ ربُّ العالمين ، وعَلّمَ ذَلِكَ لآدَمَ عليه السلام ، وآدمُ عَلّمَهُ لِذُرِّيته .

أحمد : ومِنْ أجل ذلك قال اللَّهُ تعالى : ﴿ **عَـلَّمَ الإنسان مالم يعلم** ﴾ ومعنى ذلك : أن آدم كان نَبِيّاً مُسْلِماً .

أسامة : إذن لكـى تكُونَ لـدينا مَعْلُومَاتٌ صَحِيـحةٌ عن بَدْءِ الخلقْ ، يـجبُ أن نَعتمدَ على كِتابِ الله وحديث رسُولِ الله محمد ﷺ وكُتُبِ التفسير ، وكُتُبِ المؤرِّخين المُسْلِمين .

الأب : باركَ اللَّهُ فِيكم « فكتابُ الله فِيه خَبَرُ ما قبلكُم ، ونبأُ مابعْدَكُم ، وحُكْمُ

مابينكُم »[1] .

إيمان : نُريدُ أن نَعْرِفَ يا أبي : ماذا حَدَثَ بَعْدَ أن خَلَقَ اللهُ آدم عليه السلام ؟ وعلَّمَهُ كُلَّ شيءٍ ؟!

الأب : أمَرَ اللَّهُ الملائكة وإبليس بالسجُودِ لآدمَ عليه السلام .

إيمان : ماذا فعل الملائكة ؟

الأب : فَسَجَدُوا .

إيمان : وإبليسُ ؟؟

الأب : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، لَمْ يسجُدْ ياأبنائى ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدم فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِين** ﴾[2] .

إيمان : عليك لَعائِنِ اللهُ ياإبليس ، يستكْبِرُ عن تنفيذِ أمرِ الله !! لماذا ؟؟

الأب : سَاق حُجّةً وَاهيةً ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين** ﴾[3] .

أسامة : ياله من مَغْرور .. ياله من أحْمَقٍ جاهلٍ !!

محمود : إنه يستحقُّ جَهَنَّمَ وبئسَ المصير .

الأب : مَهْلاً ياأبنائى ، ألا يوجدُ ملايينُ من بنى البَشرِ يستكْبِرُون عن تنفيذ أوامرِ الله ، بل إنَّ من أبناءِ المسلمينَ الذين يَشْهَدُون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، مَنْ يَرفُضُون تنفيذَ شَريعةِ الله ، ويرفُضُون إقامة حُكْمِ اللهِ ... بل ولا يُحرمون ماحرمَ اللهُ ، رغمَ أنَّ رسُول الله محمداً ﷺ قد علمنا : « مَاأمرتُكمْ به فخذوه ، وما نهيتكُمْ عَنْهُ فانتَهُوا »[4] .

---

(١) الدارمى ، فضائل القرآن : ١ .

(٢) البقرة : ٣٤ .

(٣) ص : ٧٦ ، والأعراف : ١٢ .

(٤) رواه ابن ماجة : ١، ٢ .

أسامة : ماذا فعل رَبُّ العالمين بإبليسَ الذى رفضَ تنفيذ أمرِه ؟

الأب : طَرَدَهُ اللّه من الجنة ، يقول اللّهُ تعالى : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[1] .

محمود : أى أنّه كان يَعيشُ فى الجنةِ ، وحَرمَ نَفْسَهُ منها ، فيالتعاسته ، يالغَبائه .. الحمد للّه الذى عافَانا ، وماذا فعل اللّعينُ بعد ذلك ؟

الأب : يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2] .

إيمان : يعنى طلب مُهْلَة ؟؟ إلى متى ؟؟

الأب : إلى يوم يُبْعَثُون .

أسامة : لكى يتوبَ يا أبى ؟

الأب : لا !!

إيمان : لماذا إذن طَلَبَ المُهْلَةَ ؟؟ وهل أمْهَلَهُ اللّه ؟؟

الأب : نعم ، يقول اللّه تعالى : ﴿ فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم ﴾[3] .

أسامة : هل شكرَ اللّه سُبحانهُ على إجابة طَلَبِه ، وتَابَ وطَلَبَ المَغْفِرةَ من الله ؟

الأب : لم يَفْعل ذلك ، إنما طَلَبَ الإمْهَالَ لِكَىْ يُضَلِّل آدمَ وبَنيه ، ويأخُذَهُم مَعَه إلى النَّار بعد أن طَرَدَهُ اللهُ من رَحْمتِه ، جزاءَ عَدَمِ تَنْفِيذِ أمر الله .

محمود : ولكن كيف يُضِلُّ بنى آدَمَ ياأبى ؟ إنه ليس مَعَنَا ؟!

الأب : يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[4] .

ويقول الله تعالى عنه أيْضًا : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[5] .

---

(1) الحجر : ٣٦ .
(2) الحجر : ٣٤ ، ٣٥ .
(3) الحجر : ٣٧ ، ٣٨ .
(4) الأعراف : ١٧ .
(5) الأعراف : ٢٧ .

أى أنَّهُ يُحارِبُ الإنْسانَ عن يمينه وعن شمالهِ ، ومِنْ أمَامِهِ ، ومِنْ خلْفه ، مُحَاوِلاً أن يجتالُه عن الإسلام .

الأبناء : لا حَوْلَ ولا قوّةَ إلاَّ باللّه ! اللهُمَّ نَجّنا ... اللهم احْفَظْنَا من الشّيْطَان .

إيمان : ولكن ماذا قال اللّهُ له بَعْدَ ذلك ؟؟ .

الأب : قال اللّهُ تعالي : ﴿ **اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا . وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾[1] .

الأبناء : ولكن كيف نتقى شرَّ هذا الشَّيطان ياأبى ؟ إنّه عَدُوٌّ لعِينٌ مُسلَّطٌ علينا ؛ لأنَّه يرَانَا ولا نراه ؟

الأب : اللّهُ يَحْفَظُكُم منْهُ ، فقد وكَّلَ اللّهُ بِكمْ حَفَظَةً : ﴿ **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾[2] ثم يأتى دورُنا ، ـ وهو ضَرُورَةُ التّحصّنِ باللّهِ ربِّ العالمين ، يقُولُ اللّه تعالى :

﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا** ﴾[3] .

إيمان : إذن لكى يحمِينا اللّهُ مِنَ الشّيطَانِ لابُدَّ وأن نكُونَ من عِبادِ اللّهِ الصَّالحين .

الأب : وأن نكُونَ يَقظِينَ ، وأن نُجاهِدَ الشَّيطَانَ ، لأنَّ جِهادَهُ واجبٌ ، وأن نَستعِيذَ باللّهِ مِنَ الشيطان الرَّجيم ، أى أنْ نَتحصَّنَ باللّهِ من الشَّيْطَانِ .

الأبناء : نَعُوذُ باللّهِ من الشيطان الرجيم .

الأب : وأنْ نَقْرأَ الأدْعِيةَ المأْثورةَ عند النّومِ واليقَظَة ، والخُرُوجِ مِنَ المنزِلِ والدُّخُولِ فيهِ ، وعندَ الطَّعَامِ والشّرابِ .. إلى غيْرِ ذلكَ مِنَ الأدْعِيَةِ

---

(١) الإسراء : ٦٣ ، ٦٤ . (٢) الطارق : ٤ . (٣) الإسراء : ٦٥ .

الَّتي تَجعلُنَا في حِفْظِ مِنَ الشَّيْطانِ بِفضلِ اللّهِ . هَلْ أحدٌ يحفَظُ دُعاء الاستِيقاظ مِنَ النَّومِ ؟

أسامة : أنَا ياأبي ، الحمدُ لله الذى أحيَانَا مِنْ بَعْدِ ما أمَاتَنا وإليْهِ النُّشُورُ .

الأب : بارك اللّه فِيكَ .

أحمد : أُرِيدُ أن نَعْرِفَ ياأبِي ماذا حَدَثَ بعد أن طردَ اللّهُ إبليسَ من الجنَّةِ ، هل بَدا يتآمرُ عَلَى آدمَ وزَوْجِهِ ؟؟

الأب : على الْفَوْرِ ياأحمد ، إنه الحِقْدُ ، إنَّهُ الحَسَدُ فى قَلْبِ إبلِيسَ اللّعينِ على آدم وزوْجِهِ وذُرِّيتِهِم ،لقد أمَرَ اللّهُ آدمَ عليه السلام بالسُّكْنَى في الجنة ..قال تعالي : ﴿ **وقُلْنا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرةِ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾[1] .

لقد أنْعَمَ الله عَليْهِمَا بالنعْمَةِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ ، وعَاشَا فِي الجنّة سَعِيدَيْنِ يتمتّعَان بكلِّ شيءٍ ، وينعَمَانِ بِالهُدوءِ والطُمَأنِينَةِ ، كما يقولُ اللّهُ تعالى : ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى . وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى** ﴾[2] .

أسامة : معنى هذا أنَّ اللّه قد أذِنَ لآدَمَ أن يأكُلَ مِنْ كلِّ ثمارِ الجنَّةِ ، ماعدَا شجَرَةٍ مُعيَّنَةٍ ؟ وهذا فضلٌ من اللّه ونِعْمَةٌ .

إيمان : كما أن الله قد حذرهما من عدُوِّهِمَا ـ الشَّيطانِ ـ وعَلَّمهما كيف يتقيان شَرَّه .

الأب : تماماً كما تقُولُون ... ولكن الشَّيْطَانَ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ لا يهدأ له بالٌ إذا رأى إنسَاناً يُطيعُ اللّهُ ، ويلْتَزِمُ بأوامرِه ، ولذلك نراه يَبْدأ بِحَرْبِ آدَمَ عليه السلام وزَوْجِهِ ، بأن يزيِّن لَهُما عصْيَانَ أوامرِ الله

---

(١) البقرة : ٣٥ .

(٢) طه : ١١٨ ، ١١٩ .

ولكن بطريقة غيرِ مُباشرة ، يقول الله تعالى عنه : ﴿ **مانَهاكُمَا ربُّكُما عَنْ هَذِه الشَّجَرَةِ إلا أن تكُونا ملَكَيْن أو تكُونا من الخالدين** ﴾(١) .

والعجيبُ أن الشَّيْطَان قد أقْسَمَ لهُمَا بالله : ﴿ **وقَاسَمَهُمَا إنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحين** ﴾(٢) يُقسِمُ باللّهِ وهُو كاذِبٌ .

أسامة : وهل صَدَّقه آدمُ ؟!

الأب : نعم صَدَّقهُ ، لأنه لم يكُن يتصوَّرُ أن هُنَالكَ مَنْ يجرؤُ على القَسَمِ بالله كَذِباً !! يقولُ الله تعالى : ﴿ **فأزلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فأخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾(٣) .

أخْرَجهُمَا مِنَ النَّعِيمِ ، نَعيمِ الجنَّة إلى الكَدِّ والكَدحِ فى الدنيا .

أسامة : ماذا حَدَثَ بَعْدَ ذلك ياأبى ؟

الأب : حينما أكَلَ آدمُ وزَوْجُهُ من الشَّجَرة ، مُخَالِفين نَهْى الله ربِّ العالمين ، بَدَتْ لهُما سوآتهما ، فَطَفِقَا يخصِفَان عَلَيْهِمَا مِنْ ورَقِ الجنَّة .

محمود : لا حَوْلَ ولاقُوَّةَ إلاَّ باللّهِ ! يعنى صَارا عُرْيَانَيْنِ ياأبى ؟

الأب : نعم ، لقد نَزَعَ اللّهُ عنهُما لِبَاسَهُما نَتيجةَ إتْيَانِ مانهَى اللّهُ عنه .

إيمان : ماذا فعَل الله بآدمَ وزَوْجِهِ بَعْد ذلك ، وخاصّة بعد أن خَالَفا نَهْىَ ربِّ العالمين ؟

الأب : عَاتَبَ اللّهُ آدم وزَوْجَهُ : ﴿ **ألَمْ أنهكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرةِ وأقُلْ لَكُمَا إنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِين** ﴾(٤) ، ألم أنبهكُمَا :

﴿ **إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى** ﴾(٥) .

أسامة : ماذا أجاب آدم عليه السلام ؟

---

(١) الأعراف : ٢٠ .
(٢) الأعراف : ٢١ .
(٣) البقرة : ٣٦ .
(٤) الأعراف : ٢٢ .
(٥) طه : ١١٧ .

الأب : قال آدم : نعم يارب ، وطلب من الله أن يتوب عليه ، وأن يغفر له ذنبه ، واستجاب الله له : ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[1] .

محمود : وهل عاقب الله الشيطان ؟؟

إيمان : نعم ، كان الشيطان هو الذى يجب أن يعاقب ؛ لأنه هو الذى ضحك عليهما !!

الأب : نعم ، هو الذى زين لهما المعصية ، ولكن ماكان لآدم وزوجه أن يستجيبا للشيطان ، ويخالفا نهى الله ، خاصة أن الله قد حذرهما طاعة الشيطان ، وقال لهما :

﴿ **إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** ﴾.

إيمان : وهل عاقب الله آدم وزوجه ياأبى ؟

الأب : نعم ، وأية عقوبة ! لقد أخرجهما من الجنة .. وأنزلهما إلى الأرض ، يكدحون ويشقون .

الأبناء : لاحول ولاقوة إلا بالله ! وهل نزل الشيطان معهما ؟

الأب : نعم ، يقول الله تعالى : ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾[2] .

محمود : وهل عرف آدم عليه السلام خطأه ؟

الأب : نعم .. لقد أدرك آدم عليه السلام أنه أخطأ حينما لم ينته عما نهى الله ، وامتثل لأمر الشيطان فأكل من الشجرة ... لقد تعلم آدم أنه لكى يعود إلى الجنة مرة أخرى ، لابد وأن يعيش حياته كلها يتلقى من الله رب العالمين ، وأن لا يتلقى عن غير الله فى التحليل والتحريم ، فى الأوامر

---

(١) البقرة : ٣٧ .　(٢) البقرة : ٣٦ .

والنَّوَاهِي .

أسامة : ما مَعْنَى ذلك يا أبي ؟

الأب : يعني أن المسلمَ حينمَا يأمُرُهُ اللهُ بإقامة الصلاة يقُول : سمِعْنَا وأطَعْنا ، وإذا سمع وآتوا الزكاة يقول : سمعْنا وأطَعْنَا ، وحينمَا يقول الله : لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ ، يقول المسلم : سمِعْنَا وأطعنا ، هذا هُو معْنَى التَّلقّى عن الله ربِّ العَالَمينَ فى الأوامر والنَّوَاهِي ، حتى يكُونَ الإنسانُ فى النهاية من الفائزين .

وَوَعَى آدمُ عليه السلام وزوْجُه الدَّرْسَ جَيِّداً ، وكان حريصًا على نَقْلِ تَجْربتِه إلى أبنائه ، وتَحْذيرهم من كيدْ الشَّيْطَان ، وحذَّر أَبْنَاءهُ من عَدُوِّهم اللَّدُودَ : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ** ﴾[1] ، وعلَّمَهُم أيضاً :

﴿ **هُوَ الَّذى جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورِ** ﴾[2] .

إيمان : وذلك يَعْني أن الله قد علّم آدمَ عليه السلام كُلَّ مايُعينهُ على أداء وَاجِباتِ الخِلافَةِ على سطْحِ الأرض ، من بناءٍ للسُّكْنى ، وزراعةٍ للأرض ، وصناعةٍ للسفُنِ ، وإعدادٍ للثياب .

الأب : تماماً ، وظلَّ آدم عليه السلام يَقُوم بواجبات الخِلاَفَةِ أَلْفَ سَنَةٍ على سَطْحِ الأرض ، يُعلِّم أبْنَاءَهُ ما تعلَّمَهُ بِتَوجيهٍ من الله ربِّ العالمين .

محمود : ولكن ، هل استَغْفَرَ آدم ربَّهُ ؟

الأب : نعم ،يقول الله تعالى : ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوابُ الرَّحِيمِ** ﴾[3] .

---

(١) الأعراف : ٢٧ . (٢) الملك : ١٥ . (٣) البقرة : ٣٧ .

ولذلك فإنَّ آدَمَ عليه السلام ظَلَّ طِيلَةَ حيَاته حريصاً على طَاعَة اللَّه ، وعلى تَرْبيةَ أبنائه على ذلك ، أنَّهم خَلْقٌ من خلقِ اللّه ، وأن اللّهَ قد ارتَضى لهُم الإسْلاَمَ ديناً وأنه لايَقْبلُ اللّه مِنَ الأُولين أو الآخرين غَيْرَهُ ، وأن الشَّيْطَان عدُوٌّ لهم فَلْيحذَرُوه ، وأن مُخالفةَ أمر الله تُؤَدّى إلى هَلاَكِهم .

إيمان : إذْن آدمُ عليه السلام ـ وهو الإنسان الأول ـ كان قمَّةٌ فى التَّحَضُّر ، فهو يَعْرف ربَّه ، ويعرِفُ دِينَهُ .

الأب : وكان أيضاً نبيًا مُكَلَّما .

محمود : فكيف يقُولُ مَنْ يُسَمُّونَ بِعُلماءِ التاريخ القديم : إن الإنسان الأوّل لا يَعْرِفُ لَهُ ربًا ولا دِيناً ، وأنه عَبَدَ قُوَى الخير ، وقُوَى الشرَّ ، واتخذَ منها آلِهةً يبغي نَفْعَها ، وآلهةً يَتَّقِي شرَّها .

أحمد : بل زعمُوا أيضاً أن الإنْسَانَ من سُلالةِ أنواعِ من القِردةِ تطوَّرَتْ عَنِ الخلية الحية التى نَشأتْ فى البِركِ والمُستَنْقَعَات .

الأب : إنَّهم ليسُوا بِعُلَماء يا أبنائِى ، إنما هم مُزَيِّفُو التاريخ الإنسانى .. الذين كَذَبُوا على الله .. إنهم شياطينُ العَصرِ الذين يُرِيدُون تَحْوِيلَ البشرية إلى قطيعٍ من الحيوانات ، باختراعِ تاريخٍ مُزَيَّفٍ يَجْعَلُها فى مَرْتَبَةٍ أقلَّ من مرتبةِ الحَيَوانِ .. إن هؤلاءَ الذين تُسميهم يامحمودُ عُلَمَاءَ ، هُم الذين استَبْعَدُوا كِتَابَ اللّه كَمَصْدَرٍ أسَاسِى عند التَّأريخِ لِبَنِي آدمَ مُنْذُ أقْدَمِ الدُّهُور ، وخَطَؤُنا أنَّنا سِرْنا وراءهم ، واعْتَبَرْنَا كِتَاباتِهِم صحيحةً .

محمود : ولكن مِنْ أيْنَ جَاءَتْ فِكْرة تطَوُّرِ الإنسان عن أجدادٍ أصلُهم قِرَدَة ؟

الأب : إنَّها فِكْرَةٌ نشَأتْ عن أُنَاسٍ لايؤْمنُون بالله ، ويُرِيدُون أن يَطمِسُوا مَعَالم التكريم الذى كرَّم اللّه به الإنسان .

إيمان : ولكن ياأبى لَمْ تُحَدِّثْنا عن خَلْقِ حَوّاءِ زَوْجِ آدم عليه السلام : مَن الذى

خَلَقَهَا ؟ وكيف خَلَقَها ؟

الأب : بَارِكَ اللهُ فيك يا إيمان .. يقول اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** ﴾[1] .

ويقول تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾[2] .

وفى خَبَرٍ أَوْرَدَهُ الإمامُ الحافظُ ابْنُ كَثِير « وأُسْكِنَ آدمُ الجنّة فكان يمْشِي فيها وحْشِيًا لَيْس لـه فيها زَوْجٌ يسكُنُ إليها ، فنام نَوْمَةً ، فاسْتَيْقَظ وعِنْد رأْسه امرأَةٌ قَاعِدَةٌ ، خلقَها اللّهُ من ضِلْعه ، فسألها : مَن أَنْتِ ؟ قالت : امرأَة ، قال : ولِمَ خُلِقْتِ ؟ قالت : لتسكُنَ إلىَّ ، فقالت له الملائكةُ ـ ينظُرون مابَلَغَ مِنْ عِلْمه ـ : ما اسْمُهَا ياآدمُ ؟ قال : حَوَّاءُ ، قالوا : ولِمَ كانت حَوَّاءَ ؟ قال : لأنها خُلِقَت من شىءٍ حىٍّ » !!

ونُسِبَتْ روايةٌ لابن عَبَّاسٍ رضى الله عنه : أنها خُلِقَت من ضِلْعِهِ الأقصَرِ الأيْسرِ وهو قائمٌ ، ولأَمَ مكانه لَحْمٌ .

وفى الصحيحين ماورد بِسنَده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استَوصُوا بالنِّساء خيراً ؛ فإن المرأة خلقت من ضلَع أعوج » .

الأبناء : جزَاكَ اللّهُ خيراً ياأبى على هذهِ المَعْلُومة .

أسامة : بَقِى سؤال أخيرٌ يا أبى .

الأب : أنت كثِيرُ الأسئلة يا أسامةُ ، ولكن أسئِلَتَك جيدةٌ .

أسامة : لماذا خَلَقَ اللّهُ آدمَ ، ولماذا استخْلَفَهُ فى الأرض ، وهل رسالَتُنا شبيهةٌ

---

(١) النساء : ١ .
(٢) الروم : ٢١ .

برسالةِ أبينا آدمَ عليه السلام ؟؟

الأب : بَارَكَ اللّهُ فيكَ يا أسامةُ ! إن الله خَلَقَ آدمَ وَخلقنا من نسله لغاية وهي العبادَةُ : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِن رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُون** ﴾[1] .

والعبادةُ لاتقفُ عندَ حدِّ الإتيانِ بالشّهادتَين ، وإقامِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزّكاةِ وصَومِ رمَضانَ ، وحَجِّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ، ولكنّها تمتدُ لتشملَ كُلَّ عملٍ يقومُ به الإنسانُ ، يقول الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمين** ﴾[2] .

محمود : معنى هذا أن الإنسان وهو يتعلَّمُ ، هو عابدٌ لله عزَّ وجلَّ ؟

الأب : نعم ، وهو يَعْمَلُ أيضاً ، المهم الإخلاصُ ، وأن يكون العملُ مَشروعاً .

أحمد : لي سؤالٌ ياأبي : ماهي العَلاقَةُ بين آدمَ وبينَ الكَوْن الذي نَعيشُ فيه ؟

الأب : هذا الكَوْنُ كان مُسَخَّراً لآدم عليه السلام وزَوجِهِ وبَنيه ، وهو الآن مُسَخَّرٌ للبشَريَّة جميعًا .

إيمان : وأنا لي سُؤالٌ أخيرٌ في هذا الموضوع : ماهو الدِّين الذي ارتضاهُ اللّهُ لآدمَ عليه السلام ؟

الأب : دِينُ الإسْلام ، الدِّينُ الذي لايقبَلُ اللّهُ من الأوّلين أو الآخرينَ غَيْرَهُ ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِين** ﴾[3] .

إيمان : مِثْلُنَا ، دينُنا الإسلامُ .

الأب : نعم ، ولكن لكَلِّ أمةٍ شِرعَةٌ ومنهاجٌ .

---

(١) الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ .
(٢) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٣) آل عمران : ٨٥ .

أسامة : سامحنِى ياأبى ، أنا كثيرُ الأسئلة ، ولـكن أنت باركَ اللهُ فيك تتكلّم فى مَوْضُوعاتٍ هامَّةٍ ، لاغنىَ للإنسان عن معْرِفَتِها ، هل لك أن تُحَدِّثنا عن تاريخ الدِّين الإسلامىِّ ، وتاريخ الملائكة ؟

الأب : الله يُسامِحُك ويُبارِك فيكَ يا أسامة ، هذه فِعلاً مَوضوعـاتٌ مُهِـمَّةٌ ، وسَنَتَحدَّثُ فيها تفصيلاً إن شاء الله .

أسامة : هُنَالكِ سؤالٌ أخيرٌ يُحيِّرُنـى ويُقْلِقُنى : وهل نَزَلَ الشيطـانُ مع آدَمَ على الأرض ؟

الأب : نعم ، نَزَلَ معه على الأرض ، وهو مُسَلَّطٌ عليهم وعلينا .

الأبناء نَعُوذُ بالله من الشيطان الرَّجيم ، يارب اكْفِنَا الشيطان .

الأب : لاتخافوا ياأبنائى طَالَمـا أنتُم فى حِفْظِ اللّه ، فاللّهُ يقُـولُ : ﴿ **إِنَّ عِبَادى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾[1] ، ويقـول : ﴿ **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمـا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾[2] .

الأبناء : اللهم اجْعَلْنا مِنْ عِبادِكَ الصَّالحِين .

الأب : آمين ، ونـزل آدمُ عليه السلام هـو وَزَوْجُه يكـدُّ ويكْدَحُ ، وهـذا هو الإنسان كما يقول الله تعالى :

﴿ **يَا أَيُّهَا الإنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ** ﴾[3] .

محمود : كيف كـانت حَيَاتُهم ، مِنْ أين لهم بـالطعام والشراب ، وقـد كـان كُلُّ شىءٍ مُعَدًّا لهم فى الجنَّة !! لاَينْصَبُون مـن أجل إعـداده أو تَجْهِيزِهِ ؟!

الأب : لقد سخَّرَ اللّهُ الكَوْنَ بِمَا فِيـه لآدم وزَوْجِه وبَنِيهِ ، وذَلَّلَ لهم أنْـواعاً مِنَ الْحَيَـوَانَاتِ لِيرْكَبُوهـا ، وأنْـوَاعاً مـن الحيوانـات يَتَنَعَّمُون بِلَحْمِها ، وأَخْرَجَ لَهُم أنْوَاعاً من الفواكه والخُضْرَواتِ وعـلَّم اللهُ آدمَ كيف يَنْتَفِعُ

---

(١) الإسراء : ٦٥ . (٢) الطارق : ٥ . (٣) الانشقاق : ٦ .

بِكُلِّ هذا .

أسامة : سُبْحَانَ اللهِ ! كلُّ هذا الكَوْنِ مُسَخَّرٌ لِمصْلَحَةِ الإنسان ، واللَّهُ علَّم آدم عليه السلام كيف يَنْتَفِعُ ويَسْتَفِيدُ به ؟! .

الأب : نعم يا أبنائى ، كما أن آدَمَ علَّم أبْنَاءَهُ كيف يُعَمِّرُون هذه الأرض ، بالزِّرَاعَةِ والتِّجارَةِ والصناعَةِ ، وكلّ مايُؤدِّى إلى ذلك مِنْ عِلْمٍ وتَجْرِبَةٍ .

محمود : ألم يكُن الأوْلَى بآدَمَ عليه السلام أن يُعَرِّف أبناءه بربّهم وبِدينِهم ونَبِيِّهِم أوَّلاً ؟

الأب : نعم ، وهذا هُوَ ما فَعَلَهُ آدمُ عليه السلام .

الدرس الثانى

البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة

دولةٌ إسلامية عُمْرُهَا ألف سنةٍ

الأب : أمر الله سُبْحَانَهُ وتعالى آدم عليه السلام بالنُّزُولِ من الجنَّةِ إلى الأرض :

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا منْهَا جَميعًا فَإِمَّا يأْتِينَّكُمْ منِّي هُدًى فَمَنْ تبعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولـئكَ أَصْحَابُ النارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾[1].

وحينما نَزَلَ آدَمُ عليه السلام هو وزَوْجه إلى الأرض قَامَ المُجْتَمَعُ الإسْلاَمى الأَوَّلُ ، دِينُه الإسلام ، وشَرِيعَتُه مِنَ الرَّحْمن ، ويَقُومُ على تَنْفيذِ أوامرِ الله ، وتَرْبِيَةِ النَّاسِ على الإسلام خليفةٌ مُسْلِمٌ هُوَ آدمُ عليه السلام .

أحمد : ولكن لماذا أمَرَ اللَّهُ آدم أن يَتْرُكَ الجنَّةَ ويَنْزِلَ إلى الأرض ؟؟

الأب : هذا سؤالٌ أجَبْنَا عليه فى الدَّرْسِ السَّابِقِ ، ولكنك كُنْتَ غائباً يا أحمد ، وكان مِنَ المفْرُوضِ أن تَسْأَلَ إخْوَانَكَ عن المَوْضُوع الذى دَرَسوهُ أثناء غِيَابِك وتَسْتَذْكِرَهُ ، على كُلٍّ نُكَرِّرُ مَرَّةً أُخرىٰ :

لَقَدْ أمر الله آدم عليه السلام بترك الجنة لأنه لم يَمْتَثِلْ لِنهْيِ الله ، ولكن عَدَمُ امتثاله لم يكن جُحُوداً ، ولكنَّهُ نسى ، يَقُولُ الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[2] .

---

(١) البقرة : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) طه : ١١٥ .

فالشيطانُ زَيَّن لآدم الأَكْلَ من الشَّجَرةِ التى نهاهُ اللهُ عن الأكل منها فخالف وأكل ثم تاب ، فتاب الله عليه ، فأمَرَهُ اللَّهُ بِتَرْكِ الجنَّةِ والنُّزُول إلى الأرض .

أحمد : إذَنْ الشَّيْطَانُ هُو المَسْئُولُ ؟

الأب : نعم ، وآدمُ عليه السلام أيضاً مسئولٌ ؛ لأنه أُنْسِيَ تحذير اللهِ من الشيطان ، وأطَاعَ الشيطانَ .

أحمد : لا حَوْلَ ولاقُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، آدمُ عليه السلام يُعَاقَبُ بإخراجه من الجنَّة !

الأب : إنَّ ذلك تحذيرٌ لنا من الشيطانِ ؛ لِئَلاَّ يُخْرِجَنَا من الجنَّة كما أخْرَجَ أبَوَيْنَا ، وذلك يؤكِّدُ أنَّنَا فى وضْعٍ حرجٍ مع ربِّنَا ، فآدمُ خَالَفَ نَهياً ربانيا فَعُوقِبَ ، فَمَا بَالُنَا فى هذه الأيَّامِ ؟! الله يَنْهَى عن التَّعَامُلِ بالرِّبا ، والناسُ يتعاملُون بالرِّبا ، واللَّهُ ينْهَى عن شُرْبِ الخمرِ ، والمصانعُ تَعْمَلُ لإنتاجِ الخَمْرِ وتبيعُها للناس ، واللَّه يَنْهَى عن الزِّنا ، ونَوَادى اللَّيْلِ تُهَيِّئُه لكُلِّ راغبٍ ، واللَّهُ ينهى عن خُروجِ المرأةِ مُتعطِّرةً ، مُتَزَيِّنةً ، كاشفةً عمَّا لا يَجُوز كَشْفُهُ ، فإذا هِى تخرُج سَافِرةً عارِيةً كُلُّ ذلك يَحْدُث بَيْنَ أُناسٍ يَنْتَسِبُون إلى الإسلام ! !!

نَسْأَلُ اللَّهَ السّلامَةَ والعَافِيَةَ يابُنَىّ .

أسامة : ومعنى ذلك أن أوَّلَ مُجتَمعٍ إسْلاَمِىٍّ قَامَ على سَطْحِ الأرض كان يَقُومُ على أمْرِهِ خَلِيفَةٌ مُسْلِمٌ ، وهل كان النَّاسُ يخطِئون رغْمَ التَّحْذيرِ الإلهى مِنَ الشَّيْطانِ ؟؟

الأب : إنَّ هذا المجتمع المسلِمَ ظلَّ قائماً على سَطْحِ هذه الأرض حوالى أحَدَ عَشَرَ قَرْناً من الزمان ، أى حوالى ألفاً ومائة سنة ، مات آدَمُ عليه السلام فى نِهَايَةِ الألْفِ سنة الأولى منها ، يؤكِّد ذَلكَ الحديثُ الذى رَوَاهُ البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنه : « بَيْنَ آدَمَ ونُوح

عَشَرَةُ قُرُون ، كُلُّهم على الإسلام » .

هذا المجتمع يُمكِنُ أن نُسَمِّيَه مُجتَمع العَمَالقة ؛ لأن آدمَ عليه السلام كان طُولُه سِتُّون ذِرَاعاً ، وعَمَّر ألفَ سَنَةٍ ، والذين عَاصَروه وجَاءُوا بَعْدَهُ مِن نَسْلِهِ كانوا قَرِيبِي الشَّبَهِ بِهِ عليه السلام .

أمَّا فيما يتَّصِلُ بِكَوْنِ النَّاسِ يُخْطِئُون رَغْمَ تَحْذِير اللَّه سبحانه وتعالى مِن الشيطانِ ، فَهَذَا قد حَدَثَ ويَحْدُثُ فِي عَالَمِنَا ، ولكنِ الْمُهِمّ أن الإنسَانَ لاَ يُصر على مَعْصِيَتِهِ وعلى ذَنْبِهِ ، ويَتُوبُ ويَسْتَغْفِر ، وقَدْ وَقَعَ انْحِرَافٌ فِي حَيَاةِ هَذِهِ القُرُونِ التي كَانَ أَهْلُهَا على الإسْلامِ ، هذا الانْحِرَافُ هُو جَرِيمَةُ القَتْلِ التي ارْتَكَبها أحَدُ أبْنَاءِ آدمَ عليه السلام .

محمود : جَرِيمَةُ قَتْلٍ فى الْمُجتَمع الْمُسْلِمِ ؟!

الأب : نعم ، وهذا هو مَوْضُوعُ لِقَائِنَا الْمُقْبِلِ إن شاء الله .

أسامة : قبل أن ينتهي الدَّرْسُ يا أبى ، أريد أن أعْرِفَ سَبَب وَفَاة آدم عليه السلامُ بعد هذَا العُمْرِ الطَّوِيلِ ، هل كان مريضاً ؟

الأب : سَبَبُ الموت انْتِهَاءُ الأجَلِ يا أسَامَةُ : ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَلاً** ﴾[1] . ولما تُوُفِّيَ آدمُ عليه السلامُ ، وكان ذَلِكَ يَوْمَ الجُمعَةِ ، جاءت الملائكة بِحَنُوطٍ وكَفَنٍ من الجَنَّة ، فَغَسَّلُوه وكَفَّنُوه وحنَّطُوهُ ، وصلوا عليه ، وحَفَرُوا له ، وألحَدُوه ، ثم حَثَوْا عليه التُّرابَ ، ثم قالوا : يابنى آدَمَ هَذِهِ سُنَّتكُم .

الأبناء : إنَّا لِلَّهِ ، وإنَّا إليه راجِعُون ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِينَا آدَمَ وارْحَمْهُ ، وأبدلْهُ داراً خيراً مِنْ دارِهِ ، وأهلاً خيراً من أهْلِهِ .

الأب : بَقِيت كلمةٌ أخيرةٌ تتَّصل بسيرةِ آدمَ عليه السلام ..

هل تعرفون فى أى بُقْعَةٍ مِنَ الأَرْضِ نَزَلَ آدمُ عليه السلام ؟

---

(١) آل عمران : ١٤٥ .

الأبناء : لا نعرف .

الأب : لقد نَزَلَ آدمُ عليه السلام فى المنطقةِ التى تُسَمَّى بالهِنْدِ الآنَ ، وَمِنْ هُناكَ انْتَشَرَ نسلُه فى بِقَاعِ الأَرْضِ ، حتى وصَلَت إلى أرض السُّوسَان (إيران الحالية) ، وأرض الرافدَيْن دِجْلَه والفراتِ (العراق حالياً) .

الأبناء : شَكَرَ اللَّهُ لَكَ يا أبى .

أحمد : أنا لى سؤالٌ : لماذا قصَّ الله علينا هذه الأخبار فى كِتَابِهِ الكَرِيم يا أبى ؟

الأب : من يَسْتَطِيعُ أن يُجِيبَ على هَذَا السُّؤالِ ؟

أحمد : لكي نَتَعَلَّمَ ونَستَفِيدَ ، وحتَّى نَعْرِفَ الْوَاجِباتِ وَمَا يَجِبُ أن نَعْمَلَه فى الدُّنْيَا لِيَعُودَ علينا بالنَّفعِ فى الآخرةِ ، وهذه هى رِسَالَةُ محمَّدٍ ﷺ كما يقول الله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذى بَعَثَ فِي الأُمِّيينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه ويُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِين** ﴾[1] .

الأب : إذن ماهى الدُّرُوس المُسْتَفَادَةُ ؟

محمود : أن نِظَامَ الخِلافَةِ نِظَامٌ عَرِيقٌ !!

أسامة : وأن آدَمَ أَوَّلُ خَلِيفةٍ على سَطْحِ الأرضِ .

إيمان : وأنَّ نَصبَ الخليفة واجبٌ !

الأب : اللهم مَتِّعنا بِعَوْدَةِ الخِلافَةِ الإسلامية .

أسامة : وأن آدَمَ كان نبيًّا مُسْلِماً ، وعلى الإسْلاَمِ عَقِيدةً وشَرِيعةً ربَّى أبْنَاءَه .

إيمان : وأن الإسْلام هُوَ الرِّسَالَةُ الأولى ، والرِّسَالَةُ الخَاتِمَةُ ...

محمود : وأنْ نَحْذَرَ الشَّيْطانَ .

---

(١) الجمعة : ٢ .

الأبناء : وأن نَستَقيمَ على أمر الله ربِّ العالمين .

الأب : بارك اللهُ فيكُم ، ووفَّقكُم لِلْعَمَلِ بما عَلمتُم .

الدرس الثالث

الفترة بين آدم ونوح عليه السلام

(عشرة قرون على شريعة من الحق)

الأب : فى الفترةِ بينَ آدمَ ونُوحٍ عَاشَتْ أجْيَالٌ مِن ذُرِيَّةِ آدم عليه السلام ، وقامت مجتمعاتٌ دينها الإسلامُ ، وشريعتها مِن عند الرحمن ، وعلى رأس كُلٍّ منها إمامٌ أو خليفةٌ مسلم بَايَعَه شَعْبُه على الإمامَةِ ، على أن يَحْكُمَ بَيْنَهُم طِبقاً لأوَامرِ الله عز وَجَلَّ وشرعه ، وواجبه الأول الدعوة إلى الله حتى يكون الله وحْدَهُ دوَاما هو المعبود ، ولا معبود مَعَهُ سِوَاه ، إمامٌ واجبُه الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

وعاش الناسُ حياةً طَيِّبَةً يَعبُدُون ربهم الحق ، وخالِقَهُم ، ورَازِقَهُم ، وكانت حياتُهم وسلُوكُهُم وأخلاَقُهم إسلاميَّةً مُنْضَبِطَةً مع أوامرِ الله عزَّ وجلَّ ونظَامِه وشَرْعِهِ ، وفى نَفْسِ الْوَقْتِ كانُوا على حَذَر من الشيطان عدُوِّهم اللَّعين .

أسامة : ولكن يا أبى ، لقد قرأتُ فى سُورَة المَائِدة ، أن أَحَدَ أبْنَاء آدَمَ قد قَتَل أخاه .

محمود : وذلك يعنى أن الشَّيطان ــ أَعُوذُ باللَّه من الشَّيْطَانِ الرجيم ــ قد اسْتطَاعَ أن يَجْتال أحَدَ أبناءِ آدم ويُغْرِيه بِقَتْلِ أخيه ؟

الأب : نعم يا أبنائى ، وهذا هو موضوع حديثنا التالى :

بداية الانحراف

أخ يَقتل أخاه

الأب : يقول الله عزّ وجل : ﴿ واتْلُ عَلَيْهِم نَبأَ ابْنَى آدَمَ بالْحَقِّ إذْ قرَّبا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّما يَتقبَّل اللَّهُ مِنَ المتَّقِين . لَئِنْ بسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لتَقْتُلَنى مَا أَنَا بِبَاسط يَدِىَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِين. إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بإِثْمِى وإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلكَ جَزَاءُ الظَّالمِين . فطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَه فَأَصْبَحَ مِنَ الخاسرين .فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كيف يُوَارِى سَوْأَةَ أَخيهِ قال ياوَيْلَتى أَعَجزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُراب فَأُوَارِى سَوْأَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمين .مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْض فكأنَّماقَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾[1] .

محمود : أحَدُ أبْنَاء آدم عليه السلام النبى المكلَّم يَقتُل أخاهُ ؟!

الأب : نعم .

أسامة : ما اسْمُ الأخِ القاتل ؟

الأب : يقال إنّه قابيل .

إيمان : والأخ التّقِىُّ ؟

الأب : يقال إنَّهُ هابيل ، وإن كان لم يَردِ فى المصادر الإسلامية ما يؤكد هذه التسمية .

محمود : ما معنى ﴿ قرَّبا قُرْبانًا ﴾ ؟

الأب : ما يُتَقَرَّب به إلى الله ، أى تَقَدَّم كلٌّ منهما بِطاعَة إلى الله عزَّ وجلَّ ،

---

(١) المائدة : ٢٧ ـ ٣٢ .

فتقبَّل اللَّهُ طاعَةَ أخٍ ، ولم يَتقَبَّلْ من الآخر .

أسامة : لماذا ؟

الأب : الله يقول : ﴿ **إنما يَتقَبَّلُ اللَّهُ من المتَّقِين** ﴾ .

إيمان : وذلك يعنى أنه لم يكنْ تَقِياً ؟

الأب : نعم .

الأبناء : اللَّهُمَّ اجْعَلْنا من المُتَّقِين .

محمود : ماذا حَدَثَ بعد ذلك ؟

الأب : هُنَا تدخَّلَ الشَّيْطانُ مَرَّةً ثانيةً لإفْسَادِ ذاتِ البَيْنِ ، بين الأخِ وأخيه ، لقد حَرَّضَ الشيطانُ الأخَ على أخيهِ ، ووسْوسَ لَهُ ، وقال له : سَلْهُ لماذا تَقَبَّلَ اللَّهُ قُربانك ولم يتقبَّلْ قُرْبَانى ؟ فسأل الأخُ أخاه .

أسامة : ولابُدَّ أن الأخَ قد أخْبَرَهُ عن السببِ وهو قَوْلُ الله تعالى : ﴿ **إنَّما يَتقَبَّلُ اللَّهُ من المتَّقِينَ** ﴾ .

محمود : ومن المفروض أن يَعتَمدَ الأخ نصيحة أخِيهِ ، ويَتُوبَ إلى الله ، ويَسْلُكَ طَريقَ المُتَّقين ؛ كى يتقبَّلَ الله منه .

الأب : هذا صحيحٌ ، ولكنِ الشيطانَ مازال يُوَسْوِسُ للأخ حتى سَلَكَ طريقاً آخر ، إذ أنه هَدَّد أخاهُ بالْقَتْلِ .

إيمان : ولكن ، ما ذنبُ أخيه ؟

الأب : أخوه لا ذَنْبَ لَهُ ، ولكن هكذا سولت له نَفْسُهُ ، وَوَسْوَسَ له الشيطان .

إيمان : ماذا فعل الأخُ الحَاقدُ ؟

الأب : قال لأخيه : لأقْتُلَنَّكَ .

محمود : ماذا فعل الأخُ الآخَرُ ؟

الأب : اصبروا يا أبنائي ، وستجدون الإجابة على كل ما يعتمل فى نفوسكم ، قال الأخ التقي لأخيه : ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ** ﴾ .

أسامة : سبحان الله ! قمة الأدب .

إيمان : ولعل الأخ الذى كان يهدد أخاه قد ارتدع واعتذر .

الأب : لا..لم يرتدع ، بل تمادى فى ظلمه وقتل أخاه التقى الصالح.

الأبناء : لا حول ولا قوة إلا بالله .. إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان ، وشركه ، وأن أقترف على نفسى سوءًا أو أجره على مسلم .

محمود : ياويل القاتل ، هل نسي نصائح أبيه آدم ، هل نسي أن الله يحرم سفك الدماء ظلمًا؟! هل نسي أن المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ؟

الأب : يبدو أنه قد نسي كل ذلك نتيجة وسوسة الشيطان اللعين .

محمود : وماذا فعل القاتل بجثة أخيه ؟

الأب : لم يدر ما يفعل بها .. فبعث الله غراباً ينقر فى الأرض بمنقاره ، ليحفر حفرة يوارى فيها جثة غراب آخر.

أسامة : سبحان الله ! غراب يحفر ليدفن غراباً آخر ميتاً ؟!

إيمان : والإنسان لا يعرف كيف يوارى جثمان أخيه !

الأب : نعم .

محمود : ماذا فعل القاتل حينما شاهد عمل الغراب ؟

الأب : بكى ، وقال كما يخبر الله تعالى عنه : ﴿ **يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي** ﴾ .

أسامة : نعم ، إنه فى مرتبةٍ أقلَّ من مرتبةِ الغُرابِ .

الأبناء : لاحولَ ولا قُوَّة إلا بالله !

الأب : الناس مابين مبْتَلى ومُعافى ، فاحْمَدُوا الله على العافية يا أبنائى.

الأبناء : الحمدُ لله الذى عَافانا مما ابتلى به الكَثيرِين من عباده .

محمود : وماذا فَعَلَ آدَمُ عليه السلامُ بِوَلَدِهِ القَتيل ؟

الأب : لقد استَرجعَ واحتَسَبَ ، وصلَّى عليه ، ودَعى له : اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ ، وتَجَاوَزْ عن سيِّئاته ، اللّهم أبْدِلهُ داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهْلِهِ .. ثم قام يدفُنهُ .

إيمان : وماذا فعل بالابن القاتِلِ ؟

أسامة : ممّا لا شكَّ فيه أنّه نَفَّذَ فيه حكْمَ اللّهِ ، فاللّهُ يَقُول : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴾[1] .

الأب : لا تتكلمْ بدُونِ إذْنٍ يا أسامة .

محمود : هل عَفَى عَنْهُ ياأبى ؟

إيمان : كيف يَعْفُو عنه واللّهُ يقولُ : ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ والرسُولُ محمد ﷺ يقول : « لاتُقتَلُ نَفسٌ ظُلْماً إلاّ كان على ابن آدمَ الأولِ كِفْلٌ من دمها ؛ لأنَّهُ كان أول من سَنَّ القتْلَ »[2] .

الأب : ليس لدَىّ مَعْلومَةٌ عَنْ مَوْقِفِ آدَمَ عليه السلام ، هلِ عَفَى عن ابْنِه القَاتِلِ ، أو نفذَ فِيِه حُكْمَ اللهِ .. على كُلٍّ هو ابتلاءٌ شديدٌ ، نسأل الله أن يُعافِينَا وإيَّاكُمْ منه .

هذه هى ملامحُ بدَايةِ الانْحرافِ دَاخِلِ المجتمع المسلم .

---

(١) الإسراء : ٣٣ .

(٢) رواه البخارى ، ديات : ٢ .

محمود : ولكن ياأبى . ألم يكُن هنَاك من يَمْنَعُ هذا الأخ من ارتـكاب جَرِيمَته ؟
ألم يكن هناك آمِرُون بالمعروفِ وناهُون عن المنكر .
ألم يكن هُنالكِ مَن يأخُذُ على يد الظالم ؟

الأب : سؤال جيّـد ، ومؤكّدٌ أنـه كان هُنـاَلك آمِرُون بـالمعـروف وناهُون عـن المنكر .. ولكن من المؤكّدِ أنّ لَحظْةَ وقوُعِ هذه الجريمةِ لم يكُن هُنالِكَ أحد .

الأبناء : ياويل الـقَاتِل الذى سَنّ جَرِيمةَ القَتْلِ ، فيَتَحَمّلُ وِزْرَ كلّ جريمـة قتلٍ تَقَعُ على الأرض ، كما أخبـر بذلك نبينا محمد صلى اللـه عليه وسلم « لا تُقْتَلُ نفسٌ إلاّ كان على ابن آدَمَ الأوّلِ كِفلٌ منها » .

محمود : الشّيُءُ العَجِيبُ أن آدم عليه السلام صَبَرَ واحْتَسَب .

الأب : ولـذلـك فَقَدْ أخْلَفَ اللّهُ عـلـيـه بِذُرّيّةٍ صـالحـةٍ طَيّبَـةٍ ، جزَاءَ صَبْرِهِ واحْتِسَابِهِ ، ومن هَؤلاءِ إدْرِيسَ عليه السلام .

الدرس الرابع

عَصْر مابعْدَ وفاةِ آدم عليه السلام

إدريسُ عليه السلام خليفةٌ على الأرض

الأب : خَلَفَ آدمَ بعد وفَاته نَبِي كَرِيمٌ من أبنائه ، هو إدريسُ عليه السلام ، يقُولُ اللهُ تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيس** ﴾(١) .

وعلي عَهْدِه ظلّ الْمُجْتَمعُ إسْلاَمِيّا ، بمعنى أنّهُ كان يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ ، ويكْفُر بالطّاغُوت ، ويُخْضعُ حيَاتَهُ وسلُوكَهُ ومُعَامَلاته كُلهـا لِنِظام اللّه وشَرْعِهِ ... مجتمعٌ يُحِلّ ما أحلّ اللّهُ ، ويُحرّم ما حرم الله ، وبعد زمنٍ لا يعْلَمه إلا الله ، توفي إدريس عليه السلام .

أسامة : نُريد أن نَعرِفَ يا أبى المزيدَ من الأخْبَارِ عن هَذَا النَبِيُّ الكريم .

الأب : المعلومات الْمُتَوَفِّرَةُ لَدَيْنَا فَقَطْ هى ما أخْبرَ به الله ، وما أخبر به رَسُولُ الله ، الذِي أخْبَرَ أنّه قَدْ شَاهَدَ إدريسَ عليه السلام ليلة الإِسْرَاءِ والمعْراجِ فى السماء الرابعة .

أسامة : الإسراء والمعراج ؟!

إيمان : وفى السماء ؟

الأبناء : يالله أخبِرْنا يا أبى .

الأب : صبراً صبراً يا أبنائى .. سيأتى كلُّ شيءٍ فى حينه .

---

(١) مريم : ٥٦ .

الدرس الخامس

عصر قُبَيْلِ مَوْلِدِ نُوحٍ عليه السلام وبعثته

الأب : يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾[1] المجتمعُ المُسْلِمُ ياأبنائي له سماتٌ : مُجتمعٌ يَعْرِفُ ربه ، ويعرِفُ نبيَّه ، ويَعرِفُ دِينَه ، مُجتمعٌ يعبدُ اللهَ وحدَه دون شريكٍ ، مُجتمعٌ يعمَلُ بما علِم ، ويبذل علْمَهُ لمن لا يعلَمه ، ويأمرُ بالمعروفِ ، ويَنْهى عن المُنْكَرِ ، ويَصبِرُ على ما يترتبُ على ذلك ، مُجتمعٌ على رأسه خَليفةٌ مُسْلِمٌ ، وأرضٌ هي دارُ الإسلام ، وعليها يَعيشُ بنو آدم عليه السلام ، المسلمون ، وغيرهم مِمن اجتَالهُم الشَّيْطانُ عن دِينهِم ، بِشرُوطٍ : أن لا يتآمرُوا على المسلمين ،ولايُؤذُوهم ، ولايُخرِجوهم من ديارهم ، ولا يُظاهِروا عَلَيْهم أحداً، وبِشَرْطِ أن يخضعوا أنفسهم لقيادَةِ المجتمع الإسلاميّ .

كان ذلك المجتمعُ ثَمرَةَ الامْتثالِ لتوْجيه الله لآدمَ عليه السلام : ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِي هُدى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[2] وظلَّت البشريةُ تَنْعَمُ بالحياةِ في ظلِّ المجتمع المسلم لِفَتَراتٍ طَويلَةٍ ، وظلَّ أبناءُ آدمَ عليه السلام أوفياءَ بعهدهم مع ربهم ، وبِعهْدِهم مع أبيهم لفترة امتدّت حَوَالى عَشْرةِ آلافِ سَنَةٍ تقريباً ، وتتابع على إمَامَةِ المسلمين أئمة وعلماء آمنت بالله ربّا ، وبالإسلام دينًا ، وظلّت تُطبّق أوامرَ اللهِ في نَفْسِها وأُسَرِهَا ومُجتَمعَاتها ، وجاء زمنٌ قلَّ

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .

(٢) البقرة : ٣٨ ، ٣٩ .

عدد العلماءِ فيه أو انقرض وقبض العلم بقبضِ العلماء ، وقلَّ الصالحون أو ماتوا .

محمود : هل يمكن أن تذكر لنا بعض أسماء الصالحين ؟

الأب : نعم ، مِنْ هؤلاء الصالحين وَدٌّ وسُوَاعٌ ويغُوثُ ويعوقُ ونَسْر .

أسامة : ولكن ياأبى هذه أسماء أصنام كانت تُعْبَدُ من دون الله .

إيمان : كيف هذا ياأبى ؟ أصنام تُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله كانوا رجالاً صالحين ! هل هذه حَقِيقةٌ كما يَقُولُ أسامة ؟؟ !

الأب : نعم يا إيمان ، إذا عَرَفْتَم السَّبَبَ بَطل الْعَجَبُ .

الأبناء : ماهو السبب ياأبى ؟

الأب : لقد كان ودّ وسُوَاعٌ ويَغُوثٌ ويَعُوق ونَسْر ، كانوا رجالاً صالحين فِعْلاً فى المجتمع المسلم فى الفترة بيْنَ عَصْرِ آدمَ ونُوحٍ عليهما السلام ، فلما مات هؤلاء الصالحون ، حَزِنَ الناسُ حُزْناً شديداً ، وهنا وَجَدَ الشيطانُ الفُرصَةَ لِيصْرِف الْمُجْتمعَ المسلم عن إفراد الله وَحْدَهُ بالعبادةِ ، ويبدو أن سُلْطَانَ العقيدةِ كان قد ضَعُفَ فى نُفُوسِهِم لأسبابٍ عديدة .

أسامة : لعنة الله على الشيطان ، ماذا بعد ذلك يا أبى ؟

الأب : لقد وَسْوَسَ الشيطان لهم ، وقال لهم : عندى فِكْرَةٌ طَالَماَ أنَّكم تُحِبُّون هؤلاء الصالحينَ الذين ماتوا ، فالأوْلَى بكُم أن تصنعوا لهم تماثيل تُذَكِّرُكُم بهم !! وكُلَّما تَذكَّرْتمُوهم دَفعكُم هذا إلى الاجتهاد فى العبادة لله ربِّ العالمين .

إيمان : سُبْحانَ الله ! وهل تَصَوَّر الناسُ أنّ الشيطانَ يُمكِنُ أن يقدمّ لهم النُّصْحَ ! وهل نَسُوا التَّحذيرَ الربّانىّ ؟!

الأب : نعم يا إيمان ، لأنّهُ يَبْدُو أن الإيمان قد ضَعُفَ سُلْطانُه على القلوب ، ولذلك استجاب الناسُ لاقتراح الشيطان .. وهم لم يَكُونُوا يَعْرِفون أن

الذى اقْترحَ عليهم هو الشيطان .. وصَنَعُوا تماثيلَ للصالحِين مِنْ قَوْمِهم : وَدٍّ وسُواعٍ ويغوثُ ويَعُوق ونَسر .

محمود : ألم ينْتَبِهُوا إلى وَصِية أبيهم آدَمَ عليه السلام ، بأنَّ الشيطانَ عدُوٌّ لهم ؟!

الأب : لم ينَتَبِهوا ، كما هو واقع كثيرٍ من الناس فى هذه الأيام .

الأبناء لا حَوْلَ ولاقُوة إلاَّ باللهَ ! مَاذا حَدَثَ بعد ذلك يا أبى ؟

الأب : وعاشَ ذَلـكَ الجيلُ مُجتَهِداً فـى عِبادَةِ الله ، كُلَّما رأى تلك التماثيل وتذكَّر الرِّجَالَ الصَّالحِين .

إيمان : وماذا بعد ذلك ؟!

الأب : هَلَكَ هذا الجيلُ ، وجاء الجيلُ الذى يَليه ، فَوسْوسَ إليه الشيطان وقال له : إنَّ آباءك كانوا يَعبُدون وَدّاً وسُواعاً ويغُوث ويُعُوقَ ونَسْراً .

محمود : لعنةُ الله على الشيطانِ الكاذبِ ، وهل صَدَّقُوهُ ؟

الأب : نعم ، ونَسُوا تَحذِيرَ الله ، وعبـدُوا التَّمَاثِيلَ (الصُّور) مـن دونِ الله ، وهذه هـى بدايةَ الشِّركِ فـى حياة البشرية ، وهـذا الذى أخبَرَ به الله سُبحَانهُ وتـعالى فـى الحديث القدسـىّ : « خَلَقْتُ عبادى حُنَفَاءَ ، فجاَءتْهمُ الشياطينُ فاجْتالَتْهُمْ عن دِينهم »[1] .

هل عَرفتمَ الآنَ أن وَدّاً وسُواعًا ويغوث ويعوق ونَسْراً كانوا صالحين ، ثم عُبِدُوا مِنْ دُونِ الله بعد وفاتهم بزَمَنٍ طَوِيلٍ .

هذه مَعْلومَاتٌ ياأبنائى قدمْناهَا لكمْ اعتماداً على قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالُوا لاَتَذَرُنَّ آلِـهَتَكُمْ وَلاَتَذَرُنَّ وَدّا وَلاَسُواعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعوقَ وَنَسْرا﴾[2] .

قُلنا فى اللقاء السابق : إن صَوتَ التَّوْحيد قد خَفَتَ أو كاد ، وتفشّى

(١) رواه مسلم ، الجنة : ٦٣ ، وأحمد ١٦٢/٤ .

(٢) نوح : ٢٣ .

الشِّركُ فى حياة المجتمع بَعدَ أن زادَت زاويةُ انحرافِ المجتمع بعد مَقتلِ أحدِ أبناءِ آدمَ عليه السلام ، واليوم نُضيف أنّه قد ترتَّب على الانحرافِ الأكبرِ وهو الشركُ باللهِ انْحرافاتٌ أُخرى ، زادت وتَفَشَّت فى حياة الناسِ ، لقد انْحرفَتْ أخلاقُ الناسِ ، وسلوكياتهم ، وتَفَشَّت الرّذائلُ والمُوبقَات ، وتكَاسلَ النّاسُ فى أداءِ العباداتِ ، وتفلّتت المعاملاتُ من توْجيهاتِ الله ربِّ العالمين ، ونَسِى الناسُ الموتَ والحياةَ الأُخرى ، وأكبُّوا على الحياة الدنيا ، يعبون من ملذاتها ، وانْشغَلُوا بجمع المال بأيَّة وسيلة كانت ، حَرَاماً أو حَلالاً ، وتغيرت القيمُ والمبادئُ ، وأصْبَحَ الإنسانُ يُوزَنُ بمالِه وسُلْطانِه وعصبيته .

محمود : ولكنّ الله يقول : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1] .

الأب : أحسَنتِ يامحمود ، هذا هو مِيزانُ الله الذى يزنُ به بَني البَشَرِ ، ولكن فِي هَذِهِ الفترةِ تجاهلَ الناسُ المعْيار الرّبّانيَّ ، وأصْبحُوا يَزِنُون النّاسَ بِمعَايِير الجاهليةِ التى تكلّمْنا عنها ، فصاحِبُ المالِ أفضل ، وصاحِبُ الجاهِ أوْجَهُ ، وصاحب السُّلْطَانِ أعْلَمُ .

أسامة : وكأنَّك ياأبى تُحدثُنا عن حالةِ المجتمعاتِ المُعاصرة ، إن انحرافاتِ قَومْ نُوح تبدُو بسيطة إذاقيسَت بانحرافاتِ المجتمعاتِ المعَاصِرةِ .

الأب : هذه حقيقة يابنىَّ .

أسامة : ولكنِ أيْن كان أئمةُ ذلك المجتمع ؟! أين العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأنبياء ؟ لِماذا لم يتَدخلُوا ويُوقفوا هذا الضلال ؟

الأب : لقد هَلَكَ العُلَماءُ وأئمةُ المجتمع ، وقادَتهُ جرَفَها التيارُ فنحتّ شريعةَ الله ، واستَبْدَلَتْها بِقوانينَ وضعيةَ ، لتُحافظَ على مافى يَدِها من سُلطَانِ ، فَحَرَّمتْ الحَلالَ ، وأحلّت الحرامَ ، ولكى يُكْسِبُوا هذه السُّلطَة التى اغْتصبُوها صفةَ الشّرْعِيَة ، ، اخْترعُوا الأكاذِيبَ لِتضْليلِ الشعوب ،

(١) الحجرات : ١٣ .

فتارةً يَزْعُمُونَ أنهم يُمثّلون الآلهةَ - في زعمهم - على الأرض ، وتارةً يقولون إنهم أبناء الآلهة .

إيمان : وهل صدَّق النَّاسُ تلك الأكَاذِيب ؟

الأب : نعم ؛ لأنَّه كما قلْتُ : كان سُلْطَان الإيمان قد ضَعُفَ في قُلُوب الناسِ ، فما عادُوا يَعْرِفُون ربَّهُم بأسمائِه وصفاتِه ، وجهلُوا دينهم (الإسلام) ونَسُوا أنبياءَهم ، ولِذَلَكَ سَهُل قِيادُهم ، فأسْلَمُوا قِيادَهُم لِزعامَاتِهِم المضلّلةِ الفاسقة .

محمود : صدق الله القائل : ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾[1] ولكن ياأبي أين الآمرون بالمعروف والناهُونَ عن المُنكَرِ ؟؟

الأب : إن قيادات ذلك المجتمع انْتَهَزُوا فُرصَةَ انْقيادِ الناس لهم ، فأخْرَسُوا كُلَّ صوتٍ يرتَفعُ بالأمرِ بالمعْرُوفِ أو النَّهي عن المُنكرِ ، بل إنَّهُم شوَّهُوا صُورةَ العُلَمَاءِ ، واتَّهمُوهم بالسّحر والجُنُونِ ،حتى لايتَلقَّى الناسُ عنهم .

إيمان : إن هذا يُذكّرنا بما يحدثُ في عالمِنَا المعاصر ، ألم يُفكّروا ولو للَحْظةٍ واحدةٍ في الموْتِ والحسابِ والعقابِ ؟!

محمود : لقد استحبَّ هؤلاء الحياةَ الدُّنيا على الآخرةِ ، ونسُوا أنّهم سَيَموتُون ويُبْعَثُون ويحاسبُون ، فصدُّوا عن سبيل اللهِ ، وساروا وسيَّروا الحياةَ حَسْبَ أهوائهم .

أسامة : معنى ذلك ياأبي أن النَّاسَ مُطالَبُون في عَصْرِنا وفي كُلِّ عصرٍ أن يعْرِفُوا ربّهمْ ، ويَعرفُوا نَبيَّهم ويعْرِفُوا دِينَهُم .. امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿ **فَاعلَم أنَهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾[2] .

---

(١) الزخرف : ٥٤ . (٢) محمد : ١٩ .

الأب : نعم ، ولهذا كما قُلْنَا يا أسامَةُ في أوَّل درْسٍ : إن سَلَفَنَا الصَّالحَ قد ركَّزُوا على أهميةِ العِلْم قبلَ القَوْل والعمَلَ .

وهنا أسألكم ياأبنائى : مَنْ يستطيع أن يُلَخِّصْ لنا المخالفات التى وَقَع فيها الجيلُ الذى جاء فى أعقابِ العَشرة قُرونٍ التى كانت على الإسلام ؟

أسامة : أشْركُوا باللهِ ربِّ العالمين .

إيمان : وأحلُّوا الحَرَامَ .

محمود : وعطَّلُوا الحُدُودَ .

أسامة : والأخْطَرُ من ذلك أنهُمْ لم يعُودُوا ينْتَبِهُون إلى عَدُوِّهم اللَّدُودِ الذى ينْتَهِزُ الفُرْصةَ ليُوقعَ بهِم .

الأب : بارك الله فيكمُ ياأبنائى ، ونَفَع بكم ... لذا يجب أن نعرف رَبَّنَا ، ونَعْرِفَ نَبِيَّنا محمداً ﷺ ، ونَعْرِفَ دِينَنَا وأن نُعلِّم غيْرَنَا ماتعلمناهُ ، وقبلَ ذلك نَعْمَلَ بما عَلِمْنا ، ونُنَبِّه الناس إلى خُطُورةِ الشيطان الذى يجبُ أن نتحصنَ منْه بذكرِ الله وعبادة الله ، كما علَّمَنَا ربُّنا : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1] .

محمود : ماذا حَدَثَ بعد ذلك ياأبى ؟

الأب : الأجيال الأولى ظلَّت وَفِيَّةً لربِّها ولدينها ولكن .. ولكن بَعْدَهَا جاءت أجيالٌ رأت بعيونها الآبَاءَ وهم يُعظِّمونَ تلك التماثيلِ تعظيماً كبيراً ، ويتحدثون عنها بتَوْقيرٍ شَديدٍ ، دون أن يعْرِفُوا سبباً لذلك التعظيم والتوقير وجاء بعد ذلك جيلٌ آخَرُ زاد على التوقير والتعظيم ، الرّكُوعَ والسجود أمام تلك التماثيل ، بل صاروا يذْبحونَ لها ويَدْعُونَها ويبنونَ لها المعابدَ ، وهكذا أصبحت تماثيلُ الصَّالحين آلهةً تُعْبَدُ من دونِ اللهِ .

أسامة : : وهذا يُنَبِّهُنا إلى خُطُورةِ وضْعِ التماثيل فى الشّوارع والميادين والمَنازِل

(١) النحل : ٩٨ .

، إذ قد يأتى أجْيَالٌ يظُنّون أننا كُنّا نعبدُها فيعبدونها مِنْ دونِ الله .

الأب : فَتَحَ اللهُ عليك يا أسامةُ ونفعَ بِكَ ، إذن يجب أن نُنَبِّهَ الناسَ إلى أنّ نصبَ التّماثِيلِ فى الميادين والشوارعِ مُخالفٌ لشَرْعِ الله (الإسلام) الذى نهى عن صناعتِها فضلاً عن نَصْبِها واتّخاذها زينةً ، ونُنبّههُم إلى أن الملائكة لاتَدْخُلُ المَنازِلَ التى فيها تماثيل .

إيمان : لكن ياأبى السؤال الذى يُحَيِّرُنى : كيف استَطاعَ الشيْطَانُ اللعينُ أن يُسيْطِرَ على عقُولِ أبْنَاءِ المسلمين من أحفادِ آدم عليه السلام ويَردُّهم كُفّارا بعْدَ إسْلامِهم ، فعبدوا الأصنام والتماثيل بعد أن كانوا يعبُدون اللهَ الواحَدِ القهّارَ ؟

الأب : السبب هو ضَعْفُ الإيمان فى القلوبِ ، والتهاونُ فى أمر العبادات ، وعَدَمُ الإقبال على تعلُّم عُلوم الإسلام ، فأصبحت تعاليم اللهِ تُراثاً يُعتَزُّ به ولا يُعْمَلُ به ، لذلك لم يفْطَنُوا إلى الكُفرِ والهلاكِ الذى وقَعُوا فيه ، واللَّهُ يقول : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ له شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[1] .

---

(١) الزخرف : ٣٦ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ (كتب الصحاح) .
- الجامع لأحكام القرآن : للإمام القرطبى أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ١٩٦٦ م .
- تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، دار الفكر ، بيروت .
- فى ظلال القرآن : لسيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة .
- مختصر صحيح مسلم : للحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى بن سلامة المنذرى الدمشقى ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامى ١٣٩٥ هـ .
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى : للحافظ ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ ــ ٨٥٢ هـ) ، عاون فى إخراجه وطبعه محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت .
- الرسالة التدمرية : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعة الثالثة ، الطبعة السلفية ، القاهرة .
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مطابع المجد التجارية .
- قصص النبيين : لأبى الحسن الندوى .
- شرح العقيدة الطحاوية : حققها وراجعها جماعة من العلماء ، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الإسلامى ، دمشق .
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، مكتبة الرياض الحديثة ، المملكة العربية السعودية .
- رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التوحيد .
- الإيمان ، أركانه ، حقيقته ، نواقضه : لمحمد نعيم ياسين ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هـ .
- تربية الأولاد فى الإسلام : للشيخ سعيد حوى .
- أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء : د . جمال عبد الهادى محمد وزوجته د . وفاء محمد رفعت .

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع ٢٠٣١ / ١٩٩١

I . S . B . N . 977 - 15 - 0025 - 2

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت: ٣٤٢٧٢١ - ص.ب ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

هذه السلسلة

* تقاس الأمم بتاريخها ، وما قدمته فى الماضى ، وما تعيشه فى الحاضر ، وما تأمل فى المستقبل .. ومعرفة الأمة لتاريخها يبعث على النهضة ودقة التخطيط نحو الأفضل دائما إذا كانت الأمة جادة فى هذه المعرفة .

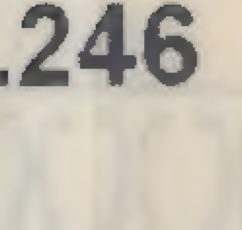
والأمم التى تعمل على الأخذ بأسباب التقدم والرقى لابد أن تنشئ أبناءها وتربيهم على معرفة تاريخها ، بل هو من أهم ما تجب معرفته .

* وإذا كان ذلك كذلك فإن تنشئة الأجيال المسلمة بالتعرف على تاريخ أمتهم المسلمة لَمن أهم ما يجب أن يعرفوه ، وينشأوا عليه ، ففى تاريخ أمتهم المسلمة ما يدعو إلى الفخر والإعزاز ، ويدفع إلى التقدم والرقى ، والأخذ بأسباب العزة والتمكين ، ونشر العدل بين الناس جميعا .

* من هنا كانت هذه السلسلة للبراعم المسلمة من أبناء أمتنا الإسلامية لتوقفهم على تاريخهم العريق الذى يضرب بجذوره فى أعماق الزمن ، ويربطهم بالكون المسلم ، وبأبيهم آدم عليه السلام وزوجه وبنيه الذين كونوا أول مجتمع مسلم على سطح الأرض ويصل بهم إلى خاتم رسله محمد ﷺ وصحابته من بعده رضوان الله عليهم - وبالتالى يعرفون الغاية التى خلقوا من أجلها والتى تأخذ بأيديهم على أن ينهضوا بالإسلام من جديد ليكون الدين كله لله .

* ودار الوفاء إذ تقدم هذه السلسلة للبراعم المسلمة تسأل الله أن يعم بها النفع وهو الهادى إلى سواء السبيل .

الناشر ،،



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

تطلب جميع منشوراتنا من :



دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٦٠٦